كتابة جديدة من أرواد

بقلم : جان بول ري – كوكيه

تلخيص وتعريب : عدنان البني

ان الكتابات اليونانية واللاتينية المكتشفة في أرواد قليلة جداً لاتتناسب مع أهمية هذه الجزيرة في العالم القديم ، ومنذ أن نسخ العلامة الكونت دو بوتو في مطلع القرن التاسع عشر سبعاً من كتاباتها ، لم تزد الكتابات المكتشفة فيها عن عشرين كتابة ونيف آخرها تم اكتشافه في عام ١٩١٦ .

وفي عام ١٩٦٨ ثارت عواصف هائلة أظهرت معالم قديمة في المنطقة الجنوبية من الجزيرة ، قام السيد نسيب صليبي بإجراء تنقيبات عاجلة فيها في ظروف صعبة جداً ، فعثر فيما عثر عليه على قاعدة اسطوانية من البازلت ارتفاعها ٨٥ سم وقطرها ٧١ سم وهي تماثل بشكلها ماسبق أن جاء به أرنست رينان من جزيرة أرواد .

تلك القاعدة عليها كتابة يونانية مؤلفة من أحد عشر سطراً ، حروفها ضيقة متطاولة ، وهي منقورة نقراً اكثر من كونها محفورة في هذا الحجر القاسي . وقد تأثر وجهها لطول تعرضها للمياه المالحة .

أول من قرأ الكتابة (بتكليف من المديرية العامة للآثار والمتاحف) الأستاذ هنري سيريغ استناداً إلى صورتها واستنساخ لها . ولما كان السطر الأخير مشوهاً فقد طلب مني رؤيتها في مكانها ، وأرسل لي ملاحظاته التي سجلها حولها ، وعرض علي نشرها . وإني لأعبر له هنا عن عرفاني بجميله . وقد شخصت إلى أرواد في آب ١٩٦٨ وراجعت النص وأخذت طبعة له مكنتني من حل كل ماتبقى فيه من صعوبات . وبالمناسبة اني أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ عبد الحميد دركل المدير العام للآثار والمتاحف والأستاذ عدنان البني مدير الحفريات والدراسات والأستاذ نسيب صليبي مكتشف الكتابة والدكتور توفيق سليمان المسؤول عن الآثار في محافظة طرطوس لتسهيلهم مهمة وصولي للكتابة ، وتعجيلهم بنشر مثل هذه الكتابة الهامة في مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية (١) .

ان وضع الكتابة يدل على عناية . وحروفها يتناقص ارتفاعها من ٤ سم في السطر الأول الى ٣ سم في السطر الأخير . والفراغ بين السطور يتناقص من ٢ سم إلى ١٫٥ سم ، وحرف الـ « ايتا » في مطلع الكتابة ارتفاعه ٦٫٥ سم (٢) .

ترجمة الكتابة :

بقرار من مجلس الشيوخ ، والشعب ، ومجلس القدامى (قُدم) هذا التمثال لمرفأ . صيادي الأرجوان المقيمين في المدينة ، وكان ذلك أيضاً طبقاً لأمر دوميسيوس بيوس ليو بروسيليانوس القنصل الرفيـع الشأن ، تعبيراً عن تكريمهم ورعايتهم . وذلك في ولاية

---

(١) يراجع نص الكتابة وصورتها وحواشي البحث في المقال المنشور بالفرنسية في القسم الأجنبي من المجلة (المعرب) .

(٢) هنا يبدي كاتب المقال بعض ملاحظات تتعلق بتنسيق السطور والتحام الحروف واستخدام الهامش الخ . وهي أمور تفصيلية جداً يمكن إغفالها (المعرب) .

هليودورس وآبولاس ـ وديو جينيس أمناء سر المدينة . وكان القائمون على المرفأ سايوس ونسامون واسكليبادس وبوتايوس للمرة الثانية .

يزودنا هذا النص ببعض المعلومات الجديدة عن مؤسسات أرواد ولكن تاريخه مجهول رغم ذكره أحد كبار موظفي الرومان .

إن المؤسسات الأساسية للمدينة هي مجلس الشيوخ والشعب يضاف لها هنا الجيروزيا أي مجلس القدامى الذي ظهر في المدائن اليونانية التابعة للامبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور هادريان وزال بعد السلالة السيفيرية . ووجود مجلس القدامى في أرواد دليل على الدور الهام الذي تتخذه في أرواد طبقة نبيلة محدودة العدد ووافرة الثراء ، الأمر الذي شجعه الحكم الروماني . وكانت هذه النزعات الارستوقراطية تتجلى في أرواد منذ عهد الامبراطور أوغست بوجود مجلس البروبولي الذي يضم أعضاء مكتب الرئاسة أو المكتب التنفيذي في البولي أي مجلس الشيوخ .

من القراءة الأولى يبدو من التمسك بأداة العطف في كل تعداد ورد في النص أن هليودورس أول شخص مذكور مع أمناء سر المدينة ، لم يربط اسمه بحرف عطف مع الأسماء التي تلته . ولما كان اسم هذه الوظيفة ورد مختصراً بحيث لايمكن معرفة ما إذا كان في حالة المفرد أم في حالة الجمع ، فمن المحتمل أن هليودورس ليس أميناً من أمناء سر المدينة ولعله أرخونت (أي حاكم المدينة) أما الآخران فهما أمينان للسر وأولهما هو أبولاس .

ان أبولاس وديوجينيس كلاهما أمينان للسر في المدينة . وثمة كتابة أروادية تعود لمطلع القرن الثاني الميلادي تكرم أحد أمناء سر المدينة . وقد رأى العالم اليسوعي الايطالي جيان باتيستا سيكي ، الذي كان أول من نشر نص تلك الكتابة ، ان وظيفة أمين السر في أرواد يمكن مقارنتها بوظيفة أمين السر في افسس الذي كان له من السلطة مايمكنه من قمع الشغب الذي أثاره الصاغة المستاءين من نبوءة القديس بولس . وفي أفسس أمينان للسر والأمر كذلك في أرواد .

وبما أن التمثال مقام في المرفأ فمن الطبيعي أن تذكر السلطات المسؤولة عن المرفأ أي الـ ليميناركـ وهم أربعة أعضاء يتولون إدارة المرفأ والاشراف عليه . وفي أواخر الامبراطورية الرومانية كان الليميناركـ موظفين تعينهم السلطة الامبراطورية ، واحد لكل مرفأ ، فيكون فيه بمثابة رئيس للشرطة . ولكن يبدو لنا أن الليميناركـ في أرواد كانوا موظفين مدنيين وفق التقليد اليوناني .

وقد عرفتنا الكتابة بمهنة في أرواد كانت تشتهر بها بلاد فينيقية . فالبورفيريس (أي الارجوانيون) الذي سمي باسمهم المرفأ بمرفأ الارجوان ، كانوا على مايبدو صيادي الاصداف التي يستخرج منها الأرجوان ، أو صناع الأرجوان . أو التجـار الذين يبيعون الأقمشة الارجوانية . وهذه الصفة والأسماء المشتقة منها كثيراً ماوردت في النصوص . وفي صور التي تروي الأساطير أنها موطن اكتشاف الأرجوان ، تذكر كتابات المقبرة البيزنطية ، بمصطلحات فنية غنية جداً ، مختلف فئات صيادي أصداف الأرجوان وصناع الأرجوان .

وموضع مرفأ الأرجوان غير محدد . ومن المعروف أن أرواد كان لها مرفـأ مزدوج منفتح نحو الشرق ، أما من جهة الغرب فليس في الجزيرة ملاجيء طبيعية ، ويحتمـل أن المرفأ المزدوج كان فيـه حوض صغير هو مرفأ صيـادي الأرجوان . ولعـل هذا المرفأ هو في الحوض الصغير الذي يتقدمه حالياً جسر فوق معبر ضيق ، ومكانه غير بعيد عن مكان اكتشاف الكتابة . وفي تصورنا أن صيادي الأرجوان كانوا يرسون فيه مراكبهم . وعلى مقربة منها كانت تقوم مستودعاتهم ومحترفاتهم .

ونلاحظ من تركيب الجملة اليونانية مايدل على أن المرفأ هنا هو بمثابة شركة أو جمعية أو نقابة ، قمينة بأن تتلقى الهبات والتكريم ويقام لها تمثال أو نصب وتكرمها أعلى سلطات المدينة . ولكن لانعرف ماذا كان يمثل التمثال . لعـله مشهد رمزي أو شخص أسطوري له علاقة بنشاط صيادي الأرجوان . ولكن من المؤكد أن جماعات أخرى من صيـادي الأرجوان كانت تمارس نشاطها على السـاحـل المقابل لأرواد ، الأمر الذي استـدعى استعمال عبارة « في المدينة » (أي في أرواد نفسها) .

وعلى الرغم من أن أرواد كانت مدينة ناشطة ، وأن مؤسساتها الخاصة تمارس صلاحياتها بصورة طبيعية ، فإنها كبقية مدن الإمبراطورية الرومانية أخذت تفقد شيئاً فشيئاً استقلالها الذاتي . إذ أن حاكم الولاية كان يشرف عن كثب على مقررات الحكام المحليين وقرارات المجالس المحلية ، والتعبير الذي ترجمناه بـ « أمر » هو تعبير إداري خاص بالرومان ، كما يتضح من الكتابات المكتشفة في الشرق اليوناني في العهد الروماني الامبراطوي .

والحاكم دوميسيوس بيوس ليو بروسيليانوس غير معروف . فهل كان حاكماً لولاية سورية أو لولاية فينيقية ؟ لقد قسمت ولاية سورية الكبرى في عهد الامبراطور سبتيم سيفير إلى ولاية سورية المجوفة في الشمال ، وولاية سورية الفينيقية في الجنوب ، وتتبع لها أرواد . وولاية سورية الكبرى كانت فيها ثلاث فرق عسكرية وحاكمها يعين من القناصل السابقين ، أما ولاية فينيقية فلا تعسكر فيها سوى فرقة واحدة وحاكمها من الرتبة البريتورية (قادة الفرق) . فعبارة القنصل الرفيع الشأن يدل على حاكم ولاية سورية الكبرى قبل أن تقسم . إلا أن من الممكن أن يكون قد تقلد رتبة قنصل خلال ولايته على فينيقية ومثل هذا الأمر مألوف .

وأن الإنسان ليميل إلى تقريب اسم ليو بروسيليانوس من ليو الذي كان قائداً لروما في عهد الامبراطور ايلاجبل . وكانت قيادة المدينة تمنح بعد الانتهاء من القنصلية الثانية . والفاصل الزمني الكبير نسبياً بين منصبي ليو ليس غريباً . فهناك حالة مماثلة تتعلق بمانيليوس فوسكوس حاكم فينيقية في عام ١٩٤ . وان قائمة حكام سورية وفينيقية في ذلك العهد هي على درجة من النقص بحيث لاتساعد على تحديد زمن ولاية ليو بروسليانوس . والكتابة نفسها لاتساعد على تحديد زمن دقيق . إلا أن شكل حروفها المتطاول تدفعنا إلى ردها إلى عهد الأسرة السيفيرية . وهذا الأمر يتعارض مع ذكر الجيروزيا (أي مجلس القدامى) لأن هذا المجلس استحدث في زمن هادريان واختفي بعد السلالة السيفيرية . إذن ليس هناك من مانع يمنعنا من اعتبار ليو قائد روما وليو بروسيليانوس موضوع بحثنا شخصاً واحداً . ان منصب قائد روما الرفيع لايوسد إلا المقربين من الامبراطور . وأن ولاية سورية أو فينيقية

التي تضم مدينة حمص يجد فيها مثـل القائد ليو فرصـة لاستجلاب مرضاة الامبراطورات الحمصيات في روما والكاهن الأعظم لهيكل الشمس في حمص الفتى ايلا جبل .

ولأسماء الأعلام في هذه الكتابة أهميتها . فاسم نسامون نادر . ويرى بوزانياس ـ (الجزء ١ . الصفحة ٣٣ ، الفقرة ٥) أن النساميون هم شعب كان يسكن فيما مضى جنوب شرقي برقة حتى خليج سرت الكبير . ونسامون هو اسم بطلهم . فهل يدل وجود هـذا الاسم في أرواد في نهاية القرن الثاني على عودة إلى الأساطير أم إلى علاقة مع افريقية النائية ؟ والى جانب الأسماء اليونانية وهي جميعاً أسماء إلهية هناك اسمان من أصل سامي وهما سابوس وبونابوس ، الأمر الذي يؤكد ماذهبنا إليه سابقاً من أهمية السكان الساميين ، خاصة العرب ، في هذه المنطقة من سورية .